المحور السادس: السياق التداولي(القراءات القرآنية/أنواعها/الحكمة منها).

ثمة مسائل بالغة الأهمية لا تقلّ شأنا عن المسائل التي تناولناها سابقا، وهي قرينة بكتاب الله تعالى وكثرت في مجالها البحوث العلمية الأكاديمية، وخاصة حين تعلقت بدراسة حروف القرآن الكريم وكيفية نطقها، وهو ما عرف بعلم القراءات القرآنية الذي صار يعتني بالقرآن ليس من جهة بلاغته أو تفسيره أو نحوه وصرفه، وإنما من حيث الاعتناء بالعلاقة بين حروفه لا من حيث رسمها، وإنما من حيث نطقها وكيفية قراءتها القراءة الصحيحة التي نزلت أول مرة على النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهو ما يمكن بيانه في هذه العناصر الآتية:

1 – مفهوم القراءة القرآنية:

1 – 1 – لغة:

وبالعودة إلى أصل اشتقاق مصطلح "**القراءة**" نجد مادته الثلاثية مأخوذة من الجذر الثلاثي:"**قرأ**"، وقد اختلف اللغويون في معنى هذا الجذر الثلاثي على نحو ما بيّناه سابقا، عندما تعرضنا لمصطلح القرآن الكريم الذي يعود إلى المفاهيم اللغوية الثلاثة، وهي (**التلاوة والجمع والاقتران**). لذلك لا حاجة لنا إلى إعادة تفصيل هذه المعاني الثلاثة.

1 – 2 – اصطلاحا:

أما القراءة القرآنية في الاصطلاح الشرعي فقد عرفها ابن الجزري – وهو أحد علماء القراءات القرآنية – بقوله: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة». أي أن هذا العلم يتعلّق بطريقة نطق ألفاظ القرآن الكريم النطق الصحيح مع تعدد الطرق واختلاف الوجوه في الأداء المنقول حصرا عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم –. ويكون هذا الأداء من طرف القارئ الشيخ العالم بالقراءات التي تلقاها بالرواية الشفوية عن المختصين بها إلى أن تصل إلى النبيّ – صلى الله عليه وسلم – ويعلمها لغيره بالطريقة الشفوية كما أخذها عن غيره.

وعرّفها كذلك – أي القراءة – طاش كبري زاد، فقال:« علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى

من حيث وجوه الاختلافات المتواترة». والغرض من ذلك هو تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة. ويهدف علم القراءة إلى الحرص على كلام الله تعالى والنطق به على الكيفية الصحيحة الكاملة السليمة كما أنزل أول مرة، وصون اللسان عن الخطأ فيه، والاحتراز عن التحريف أو التبديل أو التغيير في قراءة كلمات القرآن الكريم صورة بالرسم، ونطقا باللفظ، وكتابة بالخط.

2 – نشأة علم القراءات القرآنية وتطوره: نشأ علم القراءة القرآنية منذ اللحظات الأولى لنزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن طريق جبريل الأمين الذي نزل بكلام الله تعالى، وتلاه على رسول الله وحدّد له لفظه وكيفية تلاوته، ثم تلاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على صحابته – رضي الله عنهم – كما نزل فحفظوه في صدورهم، وكتبوه في الصحف عن طريق"**كتّاب الوحي**"، وتلوه في بيوتهم ونقلوه إلى أولادهم وأصحابهم، ثم إلى التابعين ومن بعدهم جيلا عن جيل، وهكذا تم هذا النقل المتواتر.

وكان النبيّ – صلى الله عليه وسلم – أثناء القراءة يراعي لهجات القبائل العربية في النطق باللفظ، وتفرقت القبائل وهي تتلو القرآن الكريم على الحرف الذي تلقته من رسول الله – عليه الصلاة والسلام –، وجمع أبو بكر القرآن في مصحف واحد، وطلب عثمان من كبار القراء والحفاظ وكتّاب الوحي أن ينسخوا القرآن سبع نسخ وزّعها على الأمصار، وخرجت الجيوش في الفتوحات الإسلامية تحمل القرآن وتتلوه وتعلّمه، وكل فرقة تقرأه على حسب ما سمعته أو نقلته أو بحسب رسم مصحف عثمان، فاختلفت قراءة أهل الأمصار، كما اختلفت القراءة في الجيش الواحد أو البلد الواحد، فقام الصحابة والحفّاظ والقراء ولجأوا إلى التحرّي والضبط والدقة في النقل والتلقين للناس، وظهر أئمة من القراء فضبطوا هذه الاختلافات ودوّنوها ونقلوها، والتزم كلّ واحد قراءة ومنهجا، وعلّمه لتلامذته ونقلوه بدقة، فصارت القراءة منسوبة إلى إمام مقرئ، وتعتمد على النقل بالإسناد المتواتر إلى النبيّ – صلى الله عليه وسلم –.

3 – أئمة القراءات المتواترة:

استمرت قراءة القرآن منذ عهد النبوة حتى جميع العصور التي تلتها، واشتهر من الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن السائب وغيرهم كثير.

واشتهر من التابعين سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وعكرمة والحسن البصري وابن سيرين ونصر بن عاصم الليثي ويحي بن يعمر العدواني وسعيد بن جبير وعمرو بن شرحبيل وغيرهم كثير.

وبعد التابعين ظهر الأئمة القراء الذين تجرّدوا للقراءة، وصاروا أئمة يقتدى بهم وتجمّع حولهم الناس، والمشهورون هم سبعة على النحو الآتي:

3 – 1 – نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت169هـ): وأشهر من نقل عنه راويان اثنان، هما: **قالون** و **ورش**.

3 – 2 – عبد الله بن كثير المكي (ت 120هـ):وأشهر من نقل عنه راويان اثنان، هما: **قنبل** و **البزّي**.

3 – 3 – أبو عمرو بن العلاء البصري (ت154هـ): وأشهر من نقل عنه راويان اثنان، هما: **الدوري** و **السّوسي**.

3 – 4 – عبد الله بن عامر الشامي (ت 118هـ): وأشهر من نقل عنه راويان اثنان، هما: **هشام الدمشقي** و **أحمد بن ذكوان**.

3 – 5 – عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت 127هـ): وأشهر من نقل عنه راويان اثنان، هما: **حفص** و **شعبة**.

3 – 6 – حمزة بن حبيب الزّيّات الكوفي (ت 156 هـ): وأشهر من نقل عنه راويان اثنان، هما: **خلف** و **خلّاد**.

3 – 7 – عليّ بن حمزة الكسائي (ت 169هـ): وأشهر من نقل عنه راويان اثنان، هما: **الدّوري** و **الليث البغدادي**.

2 – أنواع القراءة القرآنية:

يقسّم علماء القراءات القرآنية القراءة – من حيث سندها – إلى قراءة متواترة وأخرى شاذة، وهو

التقسيم المشهور المعمول به عند العلماء قديما وحديثا، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

2 – 1 – القراءة المتواترة: وهي القراءة التي توافرت فيها الشروط العلمية الثلاثة، من صحة سندها واتصالها إلى النبيّ – صلى الله عليه وسلم –، وموافقتها اللغة العربية ولو بوجه واحد، وموافقتها الرسم العثماني، وهو الرسم الذي استقر عليه مصحف عثمان بن عفّان بعد جمعه للأمة الإسلامية على هذا المصحف وأحرق ما دونه من المصاحف الأخرى.

2 – 2 – القراءة الشاذة: وهي القراءة التي فقدت شرطا من شروط القراءة المتواترة السابقة، مثل قراءة الحسن البصري وسعيد بن المسيِّب وشهر بن حوشب.

3 – الحكمة من تعدد القراءات القرآنية:

لم تنطق العرب قديما وحديثا على لسان واحد، فالقبائل العربية تختلف ألسنتها اختلاف الأقطار التي تسكنها، والقارئون لكتاب الله خرجوا من بطون هذه القبائل العربية. فلا غرو إذاً أن نجد تعدّدا في تلاوة كتاب الله على النحو الذي يوافق اللسان الذي درج عليه القارئ في هذا القطر دون قطر آخر. وانطلاقا من هذا التميّز بين القرّاء في تلاوة القرآن الكريم تنبع حكم كثيرة تعبّر – في الحقيقة – عن مسائل عديدة:

3 – 1 – تيسير تلاوة القرآن الكريم وحفظه وفق تعدد الألسنة التي درج عليها المسلمون في الأقطار الإسلامية المختلفة.

3 – 2 – موافقة لغة القرآن الكريم للّغات العربية المختلفة، وهو ما يوافق نزوله باللسان العربي.